حركة ترجمة النصوص المقدسة في ظل الحضارة الإسلامية بالأندلس وإسهاماتها في تأسيس علم مقارنة الأديان.

د. خديجة جوادة – دكتورة مقارنة الأديان –
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة–

ملخص:

يتناول بحثنا حاضرة الأندلس باعتبارها نموذجا لمجتمع متعدد الثقافات والديانات، والذي ترك فيه المسلمون أثرا ثقافيا وفكريا كبيرين، فكانت الجسر الذي عبرت عليه حضارة الإسلام إلى أوربا، وأقبلت فيها مختلف الطوائف المسيحية واليهودية على الأدب والثقافة العربية على حساب الثقافة والأدب اللاتينيين، مما أثرى حركة واسعة للترجمة من كلا الجانبين، اختصت بنقل تراث الجانبين العلمي والفكري، وفي مقدمتها النصوص الدينية التي تعّد الهوية التعريفية لكل الطوائف والملل المتعايشة في المجتمع الأندلسي، مما خلق مجالا لدراسة الأديان، ولقد شملت حركة الترجمة شملت النصوص الدينية المقدسة، لأهميتها في معرفة وفهم الآخر والتعامل معه، في محيط علمي واجتماعي مزدهر والتأسيس المنهجي السليم لها، كما تعّد أول خطوة للتأسيس لعلم دراسة ومقارنة الأديان.

الكلمات المفتاحية: الأندلس، الترجمة، النصوص المقدسة، مقارنة الأديان.

Abstract:

Andalusia was taken as a model of a multi-cultural and multi-religious society that’s why we chose it as a model of study, in it Muslims left a great cultural and intellectual impact. So it was the bridge that the Islamic civilization spread upon to Europe. In that society, various Jewish and Christian sects were influenced by Arabic literature and culture instead of the Latin ones. Therefore, the translation movement from both sides, witnessed it culmination. The focus of that movement was on transferring of the scientific and intellectual heritage of both sides, foremost of which is the religious texts of the communities and religious groups that coexisted in Andalusian society of the time. Creating room for study of religions , and the translation movement included the sacred religious texts, for their importance in knowing, understanding and dealing with the other, in a thriving scientific and social environment and proper methodological foundation, as it is the first step to establish the science of the study and comparative religion.

Key Word: Andalusia; the translation; the sacred texts; comparative religion

مقدمة:

امتازت الأندلس أيام الحضارة الإسلامية بسبق تفوقها، وازدهارها أمام الحواضر التاريخية الأخرى، مصقولة بتعاليم الإسلام، ومهذبة بآداب المسلمين وعلومهم وفنونهم، وأضحت هذه الحضارة هي النبراس الذي أضاء ظلمات اسبانيا المسيحية، وغرب أوربا في تلك الفترة، والنهر المتدفق الذي نهلت منه أوربا في بناء نهضتها الحديثة.

تميزّت الأندلس بازدهار مختلف العلوم والمعارف بين أهلها، وأصبحت تضاهي كبرى الحواضر الإسلامية في ازدهار العلوم والفنون وتفوقها كبغداد ودمشق والقيروان، إلاّ أنّ طبيعة المجتمع الأندلسي أضفى نوعية خاصة وتميزا للأندلس بين الحواضر الإسلامية، فالأندلس جمعت مختلف الأطياف والجماعات الدينية وشكلت مزيجا من المسيحيين واليهود والمسلمين، ساهم في ثراء هذا المجتمع وتنوع معارفه، بفعل هذا الاحتكاك الثقافي النوعي داخل مجتمع واحد، وأبرز ما خلفه المسلمون في الأندلس الأثر الثقافي والفكري، وكانت الأندلس هي الجسر أو المعبر الذي عبرت عليه حضارة الإسلام الزاهرة إلى شمال أوربا، ونقلت لهم علوم الطب والفلسفة والفلك والكيمياء والرياضيات، في الوقت الذي كان لا يعرف القراءة والكتابة إلا قليل من الرهبان والقسس والنبلاء، فكانت الحضارة والثقافة الإسلامية زاحفة على أوربا، وأقبل مسيحيو الأندلس على الأدب والثقافة العربية واهمالهم الثقافة والأدب اللاتيني، حتى أنّ الواحد منهم لا يستطيع أن يكتب رسالة بتلك اللغة، بينما كان يتبحر في دراسة اللغة العربية وآدابها.

يأتي هذا البحث ليركز على جانب من أهم الجوانب من العلوم والفنون التي ازدهرت وسط المجتمع الأندلسي وهو علم الترجمة، وبخاصة ترجمة النصوص الدينية المقدسة التي تعّد الركيزة الأولى لأي جماعة دينية، سواء عند المسلمين أو المسيحيين أو اليهود هذا من جهة، ومن جهة أخرى أحاول من خلال هذا البحث الوقوف على نقطة منهجية وعلمية مهمة نحاول إحياءها والتأسيس لها، وهي العودة بعلم تاريخ الأديان ومقارنة الأديان إلى جذوره الأولى الإسلامية، وبيئته الأولى التي نشأ فيها، ثمّ الربط بين فن الترجمة وعلومها ودورها سواء في التأسيس لهذا العلم أيام الحضارة الإسلامية، أو نقل هذا العلم ومختلف المعارف الإسلامية إلى الغرب، التي أتاحت نقل كتب المسلمين ومؤلفاتهم في هذا العلم إلى مختلف اللغات الأوربية.

من خلال هذا البحث سنحاول الإجابة عن إشكالية ما مدى إسهام حركة ترجمة النصوص الدينية المقدسة في الأندلس في التأسيس لعلم مقارنة الأديان؟ وهذا من خلال العناصر الآتية:

أولا- مدخل مفاهيمي: وأتناول فيه: تعريف الترجمة، وآليات الترجمة وأسسها، وبعض الجوانب من الحضارة الإسلامية في الأندلس.

ثانيا- علم الترجمة في ظل الحضارة الإسلامية والأندلس، وأتناول فيه الحياة العلمية والدينية في الأندلس وأثرها في ازدهار حركة الترجمة، وأهم العوامل التي ساهمت في ازدهارها، ثمّ أتناول أهم ترجمات الكتاب المقدس خاصة المرتبطة الأندلس زمانيا ومكانيا.

ثالثا- اسهام ترجمة الكتاب المقدس بالأندلس في التأسيس لعلم مقارنة الأديان، ويدرس أهم دراسات علماء المسلمين للكتاب المقدس بالأندلس، ودور هذه الدراسات واسهامها في التأسيس لعلم مقارنة الأديان.

أولا- مدخل مفاهيمي.

1. تعريف الترجمة.

1.1 مفهوم الترجمة في اللغة:

تشتق كلمة ترجمة من الفعل "ترجم" وقد جاء في لسان العرب بمعنى نقل الكلام، والتُرجمان المفسّر للسان، والذي يترجم الكلام، أي ينقله من لغة إلى لغة أخرى، والجمع التراجم[1]، ويضيف معجم المنجد أنه يحمل معنى التأويل والتفسير والشرح[2]، ونجد في اللغة العبرية "Targém" (ترجيم): ترجم من لغة إلى أخرى، وفي الأرامية "Targem" (ترجِم): ترجم، فسّر ووعظ، ومنه" Targmàn" (ترجمان)، ويحمل معنيين، أولهما نقل الكلام من لغة إلى أخرى، والثاني: التفسير، فالترجمة : يقصد بها أيضا التفسير، والنقل من لغة إلى أخرى[3]، وبهذا فقد اجتمعت المعاني اللغوية للترجمة بين النقل من لغة إلى لغة أخرى وكذا التفسير.

1. 2 مفهوم الترجمة في الاصطلاح:

اختلفت التعريفات التي تخص الترجمة، فنجد أنّ كل من "فيناي vinay" و داربلنت "Darbelnet" يعرفان الترجمة كونها "عبارة عن نقل من اللغة A إلى اللغة B من أجل التعبير عن الواقع نفسه"،وهو تعريف يركز على النظريات اللغوية فحسب، فيما نورد تعريفا آخر للترجمة قدمته "سليسكوفيتش Seleskovitch" بقولها:" الترجمة معناها نقل معنى الرسالة التي ستضمنها نص، وليس نقل اللغة التي عليها النص إلى لغة أخرى، كما أنها عملية اتصال وليست عملية لغوية"[4]، وأمّا من بيّن التعريفات الشاملة المقدمة للترجمة على أنها: "نقل الألفاظ والمعاني والأساليب من لغة إلى أخرى مع المحافظة على التكافؤ"[5]، فهي التعبير بلغة أخرى (أو اللغة الهدف) عما تعبر عنه بأخرى (لغة المصدر) مع الاحتفاظ بالتكافؤات الدلالية والأسلوبية[6]، فالترجمة "استبدال تمثيل نص في لغة بتمثيل نص مكافئ في لغة ثانية"[7]، ومن هنا تعّد الترجمة عملية نقل، تستند على نقل المعنى المراد ترجمته من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف، بشرط التحكم في كلتيهما واحترام نظام اللغة الهدف وإدراك ثقافتهما، بحيث لا يمكن فهم النص المراد ترجمته إلا باستحضار الجو الثقافي الذي ظهر فيه.

2. آليات الترجمة وأسسها.

إنّ أي إطلالة على الترجمة لا تتحقق إلا ببنود أربعة أرولها أنّ الأساس في الترجمة هو الاختلاف بين اللغات والثقافات، وثانيها أنّ الترجمة ذات غالية اتصالية، وثالثها أنّ الترجمة موجهة لمتلقي يحتاجها لجهله باللغة والثقافة التي ينسب إليها النص الأصلي، وأمّا رابعا وأخيرا فإنّ الترجمة ترتبط باللغة الكامنة وراءها، وهذه الأخيرة تختلف بحسب كل حالة[8].

فالحديث عن أسس الترجمة وآلياتها يطول كونها علما قائما بذاته، ولهذا سأحاول الإشارة إلى أهم ما تحتويه الترجمة من أسس تخدم موضوع البحث وتثريه، فمن أساسيات الترجمة التي لا غنى عنها أن يكون المترجم ضليعا في اللغتين اللغة الأصل واللغة المراد الترجمة إليها، وأن تكون لديه معارف تتعلق بالبنى النحوية والصرفية واللغوية[9]، كما تتطلب الترجمة من المؤلف أن تكون له إحاطة بثقافة لغة النص الأصلي، وثقافة النص المترجم، وعن الموضوع الذي يعالجه النص، فالمعارف الخارجة عن إطار النص ضرورية وتتغير وهي ضرورية لفتح المال أمام إمكانية الترجمة، ذلك أنها تساعد في الفهم الجيد للنص الأصلي وبالتالي تمكن من ترجمته بشكل جيّد[10]، ولهذا نجد الترجمة أعسر من التأليف، ذلك أنّه كما ذكرنا أنّ الترجمة تتطلب تكافؤ الأساليب بين اللغتين، الدقة والأمانة في نقل المعاني المبثوثة في النصوص الأصلية دون زيادة أو نقصان أو تشويه، أمّا التأليف فللكاتب حق الحرية في التعبير عن أفكاره بالشكل والأسلوب الذي أراد.

وللترجمة أشكال فقد يعمد بعض المترجمين إلى اقتباس ما في المؤلفات من معاني صالحة ثم يتوسع فيها حسبما يتوصل إليه اجتهاده، وقد يتصرف بعضهم بالأصل فيأخذ من المعاني ما يوافق هواه ويدع البعض الآخر، ولكن أهم أسس وأصول الترجمة التزام الأمانة في نقل أي نتاج فكري، بقدر المستطاع، كما أنّ لبعض المترجمين من القدرة ما لو تعرّضوا لنقل رائعة أدبية إلى لغتهم لأضفوا عليها من عندهم ما يجعلها أروع من الأصل، بيد أنّ هذا ليس شرطا ضروريا.

ونجد المترجمين القدامى من المسلمين سلكوا الطريقتين في الترجمة، فبعضهم أخذ بالترجمة الحرفية وبعضهم انصرف إلى نقل المعنى بالأسلوب العربي، ويبقى المنهج الثاني أجود وأصح[11]، ومن هنا يتضح أنّ الترجمة تعتمد على المترجم بشكل كبير في تمكنه وتحصيله للغتين المصدر والهدف، مع اتقانه لتحويل المعاني من المؤلف الأصل ونقلها إلى اللغة الهدف بدقة كبيرة.

3. المظاهر العلمية للحضارة الإسلامية في الأندلس.

أول من أطلق اسم الأندلس على هذا الجانب من الأرض، كان من طرف المسلمين الفاتحين، أمّا قبل فعرفت هذه الأرض باسمين مختلفين، الأول "إيبريا Iberia "، وهي تسمية أطلقها الإغريق، وسميت به كل المنطقة الممتدة شرقا على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، واتسع مدلولها حتى أصبحت تطلق على كل شبه الجزيرة، وأول من استخدم هذا الاسم بعض المؤرخين والجغرافيين الإغريق خلال القرن (6 ق. م)، كما نجد اللفظ أيضا عند المؤرخ اليوناني هيرودوت(ق 5 ق. م)، واختلف في اطلاق اللفظ على

شبه الجزيرة الأيبيرية أو بعض الأجزاء منها، لكن هذه التسمية بقيت تستخدم على نطاق واسع حتى من أولئك الذين كانوا يعيشون في بيئات لاتينية خالصة[12].

ولقد عرف تاريخ شبه الجزيرة الأيبرية سلسلة من التناقضات التي لا يمكن أن نجدها في تاريخ أي أمة من الأمم الأوربية الأخرى، فعلى هذه الأرض ترسبت بعض أهم الحضارات في العالم من اليونانية إلى الرومانية إلى العربية والإسلامية، إلا أنّ الحضارة الإسلامية كانت الأهم والأشمل والأكثر ديمومة وتأثيرا على العصور الحديثة، مكّنت أوربا من استغلال الثراء الحضاري والعلمي الإسلامي الذي تطور في الأندلس[13]، فالدخول الاسلامي للأندلس لم يكن احتلالا عسكريا، بل كان حدثا حضاريا مهما، نقل إليهم خلاصة الفكر والمعارف الإسلامية.

تميز المجتمع شبه جزيرة أيبيرية بغالبية كبيرة تدين بالمسيحية الكاثوليكية مع وجود أقلية يهودية، ومع بداية الفتح الإسلامي للأندلس سنة 711 م (92 هـ)، كان القوط الغربيون أقلية حاكمة مستبدة بعيدة عن السكان المحليين، ولذا فإنّ كثيرا من السكان رحبوا بالفاتحين المسلمين الجدد، وقدّموا مساعدات للتخلص من الحكام، مما أتاح للعرب استكمال احتلال شبه الجزيرة خلال سنوات قليلة، والشروع في بناء مجتمع جديد امتزج فيه خليط ديني وعرقي متنوع، أهم عناصره العرب والبربر، والنصارى (العجم) وعرفوا أيضا باسم المعاهدين، أو أهل الذمة أو المستعربين (Mozarabes) كما شمل المسالمة (الأسالمة) وحمل أبناءهم صفة المولودين، بالإضافة إلى اليهود والصقالبة أبناء الدول الافرنجية الذين تعهدت الدولة برعايتهم، كما ساهم زواج الجنود الفاتحين من النساء المحليات إلى تسارع الاختلاط مع السكان الأصليين، طبقت فيه السماحة الدينية بنجاح كبير، فمعظم مؤرخي الفترة الأولى من فتح الأندلس يعترفون بأن العرب امتنعوا عن استخدام القسر أو الضغط أو حتى الدعاية الظاهرة لاستمالة سكان شبه الجزيرة إلى الإسلام، ورغم هذا إلا أنّ الإسلام انتشر بشكل واسع بين السكان الأصلين، وهناك من بقي على نصرانتيه أو يهوديته ومنحت لهم كل الحرية الدينية، وحرية ممارسة عباداتهم، والارتقاء إلى مراتب مهمة في النظام السياسي الجديد، وفي ظل طابع التسامح العام أتيح للجميع المشاركة في بناء مجتمع جديد وحضارة متميزة عادت على الجميع بالخير[14]، فازدهرت الآداب والعلوم والفنون وإنشاء المكتبات، وأنشأت الطرق والجسور والقصور والمساجد، وتطورت المجالات الحربية والجغرافية والفلكية والطبية.

ومن أهم الأسباب التي هيأت للأندلس سرعة الازدهار الثقافي العربي والإسلامي، الاستقلال السياسي المبكر الذي نالته الأندلس بعد أربعين سنة من الفتح العربي، وسياسة الحكم من أمراء عباقرة أحسنوا تسيير على مدى طوال ثلاثة قرون، وهي مدة طويلة لم يتح لها مثيل من الاستقرار والدوام لأي قطر إسلامي، بالإضافة إلى التنوع الاجتماعي والثقافي الذي شكله الشعب الأندلسي، فضلاً عن أن بعد الأندلس عن مراكز الثقافة العربية في الشرق أرهف فيهم الحساسية الثقافية والفكرية فجعلهم أكثر تطلعا للأخذ بأسباب الثقافة كل هذه العوامل تفسر كيف بلغ الشعب الأندلسي درجة من الرقي والنضج السريع وكيف كان للثقافة الأندلسية في الإطار العام للحضارة كثيراً من مظاهر الأصالة والتميز.

وبهذا أضحت الأندلس مجالا لاهتمام الأمم الأوربية بحضارتها وعلومها وفنونها، وكانت جامعاتها المزدهرة مقصد طلاب العلم من كل مكان، فأصبحت مدارس الترجمة الأندلسية وبخاصة مدرسة طليطلة تقوم بعملها المنظم في نقل ثمار العلوم الإسلامية الى اللغة اللاتينية، التي كانت لغة العلم في سائر أنحاء أوربا، وظلت لغة التخاطب بين أهالي اسبانيا وإن كانت العربية هي لغة العلم وإدارة، وبدأت منذ ذلك الحين مساهمة الحضارة العربية الإسلامية في تكوين حضارة أوربا وقد امتدت هذه المساهمة نحو ثلاثة قرون وكان لها أثرها الواضح العميق[15]، في نقل منجزات الحضارة الإسلامية إلى الغرب عبر وسائل الاتصال والترجمة، فكانت أساساً للنهضة الأوربية في مختلف مجالات العلوم والأدب.

ثانيا- علم الترجمة في ظل الحضارة الإسلامية والأندلس.

1. الحياة العلمية والدينية في الأندلس وأثرها في ازدهار حركة الترجمة.

للترجمة أهمية كبيرة في التاريخ العلمي والثقافي للشعوب والحضارات عبر التاريخ، ولم يكن هذا العلم خاصا باللغة العربية فحسب، بل في سائر اللغات، ذلك أنّه مهما كان بين الشعوب تفاوت أو تقارب، في مستويات الحضارة والرقي، يبقى التبادل والتعاون الفكري أمرا مهما لا غنى عنه، وكذلك كان في بلاد الإسلام، فقد بدأت حركة الترجمة وتعلم اللغات غير العربية منذ عهد النبي -صلى الله عليه وسلم-، فنجد الصحابي "زيد بن ثابت" تعلم اللغة السريانية والفارسية واليونانية، كما يظهر أن "أبا الأسود الدؤلي" في عهد الخلفاء الراشدين، كان على دراية باللغة السريانية وربما اليونانية أيضا، واستفاد من النحو اليوناني بواسطتهما لتقنين اللغة العربية وتقعيدها، ليستمر هذا الاهتمام ويزدهر خلال العصر الأموي ثم العباسي في ربوع العالم الإسلامي، وفي الحواضر الإسلامية الكبرى من بغداد إلى الاسكندرية فإلى الأندلس.

ونجد أنّ العصر العباسي كان الأكثر ازدهارا وتفتحا على الثقافات والديانات واللغات والأعراق، واتبع خلفاء بني العباس أسلوب الحوار مع هذه الأطياف، فظهرت العلوم العقلية بعد تعريب أغلب كتب علماء اليونان في الفلسفة والمنطق، وكان قسم كبير من هذه الكتب قد نقل من اللغة اليونانية إلى اللغة السريانية قبل ترجمته إلى العربية، ولهذا فإنّ العرب عرفوا فضل الترجمة منذ بداية نشأة الدولة الإسلامية، وبدأوا بنقل ما عند اليونان والفرس والهند من معارف كانوا بحاجة إليها، وأشهر ما عرف عن مراكز الترجمة ما أنشأه الخليفة العباسي المأمون "دار الحكمة" التي جمع فيها أمهات الكتب الأعجمية، ودعا القادرين على الترجمة فانزلهم فيها وأجرى عليهم الأرزاق حتى ينصرفوا إلى ترجمتها[16]، فاستطاع العرب حفظ مؤلفات اليونان، وفي قرنين من الزمان نقل الى العربية كل ما خلفه الإغريق من التراث العلمي تقريبا، في الوقت الذي كان الأوربيون لا يعرفون إلا الشيء القليل عن فنون اليونان ومعارفهم، وهنا أضحت الأندلس بوابة الاحتكاك الإسلامي الأوربي، فنجدهم في القرن الحادي عشر الميلادي، بدأ علماء النصارى يعكفون على ترجمة علوم العرب وفنونهم، وتحمسوا كثيرا إلى هذه الترجمة خاصّة لما علموا أنّ

العرب قد ترجموا أغلب مؤلفات اليونان واقتبسوا من مناهل فكرهم[17]، ولقيت هذه الترجمات ترحابا كبيرا لدى ملوك النصارى، وقد انتشرت في كامل أرجاء أوربا على الرغم من تحفظ بعض الكنسيين المتشددين.

كما أخذ توافد طلبة العلم على المدن الأندلسية من كل أنحاء أوربا يتزايد وينتشر، ولا سيّما من شمال إسبانيا وفرنسا وإيطاليا وإنكلترا وألمانيا، لتلقي العلم والفنون العربية الإسلامية، وكان الكثير منهم قد تعلم اللغة العربية مما جعلهم يدرسون علوم العرب بلغتها الأصلية، فكان هؤلاء الطلاب الذي تتلمذوا على شيوخ المسلمين في الأندلس، الحجر الأساس في بعث حركة الترجمة في أوربا[18]، فأنشأ الأوربيون مدارس للترجمة وظفوا فيها مترجمين من كافة أنحاء أوربا ونصارى من المشرق، كما استعانوا بالمسلمين المحترفين واستخدموا الأسرى والجواري، أمّا اليهود فكانوا يتقنون اللغات الشرقية والغربية، فيعدون من أهم الوسطاء الذين مرّت بفضلهم علوم العرب إلى أوربا، وكان لهم دور مهم في حركة الترجمة، لأنهم كانوا يتقنون العبرية والعربية والقشتالية، وأحيانا أيضا اللاتينية واليونانية[19]، وكانت غرناطة تزخر بأكبر جالية يهودية، فسميت لذلك بغرناطة اليهود، وقد لعبوا دورا هاما في نقل العلوم العربية في الأندلس فترجموا الكتب العربية إلى العبرية واللاتينية ونبغ منهم كثيرون في الطب والفلسفة والفلك والكيمياء أمثال "حسداي بن شفروط" طبيب "عبد الرحمن الناصر"، و"موسى بن ميمون" الفيلسوف و"إبراهيم بن سهل الإسرائيلي" الشاعر[20].

أمّا مدينة طليطلة الأندلسية فبعد سقوطها على يد النصارى بقيادة الملك "ألفونسو السادس" في سنة (478هـ –1085م) كانت أول مدينة في أوربا ظهرت فيها حركة الترجمة، وكانت المكتبات الحافلة بالمؤلفات العربية من أهم العوامل التي شجعت النصارى على الترجمة ونقل كتب العرب إلى اللغة اللاتينية، مما جعل منها مركزا مهما انتشرت منه فنون العرب المسلمين وعلومهم إلى أوربا، إذ قام ملكها ألفونسو السادس بإنشاء "معهد المترجمين الطليطليين" الذي ذاع صيته في أوربا عندما لجأ إليه نفر من العلماء الإسبان والأندلسيين في عهد "ألفنسو السابع"[21].

ومن الجانب الآخر نجد أن بعض المسلمين الأندلسيين قد أتقنوا لغة جيرانهم مثل اللغة القشتالية والأراجونية، ونتج عن ذلك مجادلات ومناقشات في موضوعات مختلفة في الدّين والعلم بين علماء الإسلام والمسيحية[22].

من أهم العلوم والمعارف التي ازدهرت في الأندلس ونهل منها الأوربيون ازدهار للفلسفة الأرسطية، فظهر بها أشهر الفلاسفة والعلماء نذكر منهم ثلاثة فلاسفة عظام خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، الذين تركوا أثرا في تاريخ الفكر الانساني، وهم: ابن باجه (533هـ/ 1138م)، وابن طفيل (ت581هـ/ 1185م)، وابن رشد (ت594هـ/1198م)[23] ، والأخير عده الأوربيون أكبر ممثل لحرية الفكر في العصور الوسطى، واعجبوا بشروحه لفلسفة ارسطو، كما انتشرت كتب الغزالي (ت 505هـ/ 1111م) في المنطق والفيزياء والميتافيزيقا نتيجة لجهود مترجمي طليطلة في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، ومؤلفات كل من الكندي، والفارابي (ت339هـ/ 950م)، وابن سينا

(ت429هـ/1037م) الذين تأركوا أثرا عميقا في الغرب[24]، وفي الأندلس أيضا كان ميلاد أبرز أعلام الفلسفة الصوفية عند المسلمين وهو ابن عربي، الذي ولد في مرسية في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، فغدت الأندلس منطلقا لترجمات في الفلسفة والعلوم العربية على نطاق واسع، فقد وقعت بحوزة المسيحيين كنوز المكتبات العربية وشرعوا ينقلونها إلى اللغات التي يفهمونها فأثيرت حركة واسعة في ترجمة العلوم العربية في أقطار أوربا.

2. **عوامل ازدهار حركة الترجمة في الأندلس:**

يرجع ازدهار وتقدم حركة الترجمة في الأندلس أيام الحضارة الإسلامية إلى عوامل متعددة، يمكن أن نجملها فيما يلي:

أ- **عوامل ترجع إلى المسلمين:** وتتمثل في:

- **وعي المسلمين المبكر بثابتين من ثوابت الإسلام هما تسامحه ونزوعه المعرفي،** فأمّا الأول فيتمثل في عناية هذا الدين بالأفراد والجماعات الدينية التي تعيش في كنف الدولة الإسلامية، وقد سماهم أهل الذمة، يهودا ونصارى، وسنّ لهم تشريعات وقوانين تضبط علاقتهم بالدولة وتضمن لهم حقوقهم الدينية والمدنية، وهذا ما كان مطلقا من طرف حكام الأندلس طوال الحكم الإسلامي.

وهذا ما ساهم في انسجام جميع الأطراف وتعايشهم في مجال من الحرية الدينية والعلمية والثقافية، كما أتيح لكافة الذمّيين من هؤلاء وأولئك أن ينهلوا من علوم المسلمين ومعارفهم، وكان من مظاهر ذلك ما حصلوه من دراية بالعربية ولغتها وأساليبها أهلت بعضهم للكتابة، وللتأليف في فنون وعلوم مختلفة[25].

وأمّا النزوع المعرفي، الذي أصّل له القرآن الكريم، فإننا نجد التأريخ لعلم الأديان في الفكر الإسلامي ينطلق بداية من أول المصادر الإسلامية وهو القرآن الكريم، الذي أرسى القواعد العلمية لدراسة الدين، وأعطاها فلسفتها النظرية، ومن أهم أسس هذه الفلسفة الأساس المعرفي الذي يدعو إلى ضرورة طلب العلم والمعرفة، كما اشتمل القرآن الكريم على مادة كثيرة خاصّة بالأديان السابقة[26]، أتاحت للمسلمين معرفة الأديان الأخرى ودراستها ومناقشتها ووصلت حدّ الرد عليهم ونقدها، وهذا ما طبق على أرض الأندلس من طرف حكامها الذي شجعوا المعرفة وعملوا على نشرها، نذكر على سبيل المثال الخليفتين عبد الرحمان الناصر (300- 350 هـ) وابنه وحلفه الحكم المستنصر (350- 355هـ)، لما كان لهما من سبق المبادرة في تهيء الأسباب وإعداد الأجواء لولادة حركة الترجمة في الأندلس ورعايتها وهي تخطو خطواتها الأولى، فقد كانا إلى جانب مشاغلهما في الحكم والسياسة يوليان العلم والثقافة بعامة حظا موفورا من العناية والاهتمام تمثلا في استقدام العلماء، واقتناء الكتب وتوجيه حركة التأليف والترجمة، وتشجيع القائمين عليها من علماء المسلمين والنصارى.

- **ثراء المعارف الإسلامية:** فقد بلغت معارف المسلمين بعد انتشار الإسلام في جزيرة الأندلس شأوا رفيعا من النضج، سواء مما كتف وألّف باللغة العربية أو فيما نُقل من اللغات الأخرى كاليونانية والسريانية والفارسية وغيرها.

وقد كانت الأندلس حاضنة لهذه المعارف جمعا وشرحا وترجمة، وأضحت حاضرة إسلامية متميّزة وخير مثال على الاعتناء بهذه المعارف مكتبة "الحكم الثاني" التي اعتبرت بوفرة ما حوت أغنى مكتبة عرفتها العصور الوسطى في الغرب، لاحتوائها ما يربوا إلى أربعمائة ألف مجلد، أغلبها من كتب الأوائل بعضها يوناني، وكان فيه المترجم إلى العربية مما حمّل من المشرق إلى قرطبة، أو مما قدم هدايا لحكام الأندلس، وبعضها الآخر لاتيني، وبتوفر هذه المكتبة العلمية العامرة في عاصمة الخلافة قرطبة شجع أهلها على البحث والعلم، فكانت ينبوعا متفجرا للعلوم، ودار صوب، وبستان ثمر الخواطر، وبحر الدرر القرائح، وبها أنشأت التأليفات الرائعة، وصنفت التصنيفات الفائقة".

وهذا البروز العلمي الذي تحقق لقرطبة في خدمة المعارف بعامة والمنقولة بخاصة جمعا وشرحا وترجمة مما اشترك في انجازه الأندلسيون جميعهم من مسلمين ونصارى ويهود هو ما جعلها تضاهي كبرى حواضر العلم في العالم القديم[27].

ب- عوامل ترجع إلى النصارى: وتتمثل في:

- **الوعي بأهمية المعارف العربية وثرائها وجدارتها بالنقل والمحاكاة،** ولدينا مثالين بارزين عن فئتين ممن اهتموا بهذا المجال من النصارى، يأتي في مقدمتهم الملوك والأمراء، فقد كان التعلق بالتراث الثقافي الحضاري العربي قاسما مشتركان بينهم جميعا، انعكس فيما ساد بين الأمراء، وأبرز هؤلاء من حيث الاهتمام العلمي الجاد بالتراث العربي وترجمته كان بلاط طليطلة على عهد ملك قشتالة " ألفونصو العاشر" الملقب بالحكيم، حيث جمع طائفة من العلماء المسلمين والنصارى واليهود للتفرغ للترجمة والنقل مما أتاح لعشرات المصنفات العربية في مختلف العلوم والمعارف أن تكون بين أيدي القراء باللاتينية والقشتالية، وكذلك كان بلاط برشلونة له اسهام ملحوظ في عملية النقل والترجمة من العربية إلى اللغة الرومانثية القطلانية وإلى اللاتينية.

لم يكن الاهتمام بالتراث العلمي العربي مقتصر على الإمارات النصرانية داخل الأندلس فحسب، بل تعداه إلى بلاطات نصرانية أخرى خارج الأندلس، مثل الملك "فردريك الثاني" بصقلية الذي كان مشغوفا بثقافة العرب وعلم المسلمين، ويرعى حركة نشيطة في ترجمة التراث الفلسفي والعلمي مما ألّفه العرب أو شرحوه، كما كان الاهتمام بالتراث العربي والإسلامي كبيرا من طرف العلماء ورجال الدّين، وقد نجد منهم من كان يعيش في الأندلس ويشارك في الحياة العلمية، والفكرية برعاية الخلفاء والأمراء، ومنهم من كان يعيش في الأندلس النصرانية أيضا.

- **الهجوم على الإسلام وتحصين النصرانية:** وهو عامل ظل يراود المسيحيين ويقوى كلما اشتّد الصراع والحروب بين الجانبين، وخوض الحروب التي سمتها المدونات التاريخية الإسبانية ب"حروب بالاسترداد"، والتي كانت سلسلة هجمات صليبية متوالية، كان القصد منها اجتثاث الوجود الإسلامي من الجزيرة عقديا وثقافيا وسياسيا، وهذا كان يستدعي الاطلاع على معارف الاسلام وعلومه من جهة، ونقل إلى لغته العربية من العلوم القديمة مهذبا مشروحا من جهة ثانية حتى يتسنى لهم أمر التصدي، وهي

الغاية التي كان يخطط لتحقيقها رجال الكنيسة في إطار المشروع الثقافي للصليبية في هجمتها الشرسة على الإسلام والمسلمين بالأندلس[28].

ت- **عوامل ترجع إلى المسلمين والنصارى معا:** وتجسدت في الزيارات والسفارات المتبادلة بين البلاطات الإسلامية والنصرانية، والتي كانت كثيرة وممتدة عبر العصور وكانت حظوظها من الاهتمام العلمي والثقافي متفاوتة، وخلالها تم ادخال العديد من الكتب التراثية وترجمتها مما ساهم في تنشيط حركة الترجمة في الأندلس.

يضاف إليها المعرفة باللغات، واتقانها وفي مقدمتها اللغة العربية، لغة العلم والمعرفة آنذاك، مما أدى بغير أصحابها من أهل الأندلس نصارى ويهودا إلى الاقبال على تعلمها والتمكن منها وإجادتها، حتى عرّف عن الكثير من اليهود إجادتهم للغة العربية، وتأليفهم بها مختلف المصنفات العلمية وحتى الدينية والعقدية[29].

3. تاريخ ترجمات الكتاب المقدس.

عرف الكتاب المقدس ترجمات عديدة أنجز بعضها بشكل فردي وآخر بجهد جماعي، كما وقف وراء بعضها مؤسسات دينية كنسية، والأغرب من ذلك أنّ أول ترجمة عربية متكاملة للإنجيل كانت بتوجيه من الدول الإسلامية في مصر في القرن السابع للميلاد، وهناك من الترجمات ما هو قديم وما هو جديد، ويعود عهد الترجمة عند الغرب إلى أيام الامبراطورية الرومانية الإغريقية، إذ انكب المترجمون يومئذ إلى نقل التوراة والانجيل وتباينت ترجماتهم وتفاوتت حرفيتها والتصرف فيها، وقد برز كثير من المترجمين الغربيين في العصور القديمة والحديثة، ولعّل أبرزهم هو الخطيب الروماني شيشرون (106- 43 ق.م) الذي تنسب إليه أقدم مدرسة من مدارس الترجمة، والقائمة على حرية النقل، مع التمسك بالقيم البلاغية والجمالية في التعبير.

ومن أقدم الترجمات التي مست الكتاب المقدس الترجمة اليونانية المعروفة بالترجمة السبعينية، وهي التي قام بها سبعون عالما من علماء الإسكندرية تحت رعاية "بطليموس فيلادلفوس" حيث ترجموا الأسفار الخمسة، وبعض من الأسفار المنحولة (الأبوكريفا) إلى اليونانية في النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد (285- 247 ق.م)[30] ، والعديد من الترجمات الأخرى التي عرفها الكتاب المقدس أو أجزاء منه إلى لغات مختلفة.

ومع القرن الرابع والخامس الميلادي جاء أيضا "جيروم سافرونيك" (340- 430 م) الذي اشتهر بترجمة الإنجيل من اللغة الإغريقية إلى اللغة اللاتينية، وكان أول من طرح فكرة الفصل بين ترجمة النصوص الدينية والنصوص الدنيوية، وأوضح أنّ الترجمة السليمة إنّما تعتمد على فهم المترجم النص الأصلي وقدرته على استخدام أدوات لغته الأم، أو اللغة التي يترجم إليها[31]، وهناك الإيطالي ليوناردو أرتينو (1373- 1444م) الذي ركز على ضرورة نقل خصائص النص الأصلي نقلا تاما والتلازم بين اللفظ والمضمون، مشيرا إلى أنه إذا ما كان المضمون يشير إلى المعنى، فإنّ اللفظ يشير إلى البلاغة في

النص، ثم جاء بعده جاء إتيان دولبير (1509– 1586م) بمنهجه الذي عرف بالمنهج التصحيحي في الترجمة ناديا بضرورة أن يفهم المترجم محتوى النص الأصلي جيدا، وأن يدرك قصد المؤلف من النص وهدفه[32].

أمّا بالعودة إلى أرض الأندلس فبحلول القرن الثامن الميلادي، أخذت اللغة العربية الجديدة تتأصل في اسبانيا نتيجة الفتح الاسلامي لشبه الجزيرة، وانتشرت اللغة العربية منافسة للغة اللاتينية التي تراجعت فبرزت الحاجة الى كتاب مقدس باللغة العربية، ويذكر المؤرخون أنّ الأسقف يوحنا أسقف إشبيلية، قام بترجمة الكتاب المقدس بالأندلس عام 750م، ولم يعتمد في ترجمته على اللغات الأصلية للكتاب المقدس، وإنما اعتمد على نسخة "الفولجاتا"، وهي الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس على يد القديس جيروم، وتستخدم اللاتينية السهلة، كما أنّ هناك ترجمة "حنين بن إسحاق" للكتاب المقدس عن الترجمة السبعينية اليونانية عام 870م، وهي ترجمة مفقودة، إضافة إلى ترجمات جزئية لأسفار الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، ومنها ما هو قديم وحديث أيضا[33]، فلا شك أن العديد من الترجمات العربية للكتاب المقدس، ولا سيّما الأناجيل، انتشرت في اسبانيا في القرون الوسط، ومن المؤسف أن معظم هذه الترجمات العربية لم يعد له أثر، ولكن تُرى اليوم في كاتدرائية ليون بإسبانيا ترجمة عربية للأناجيل تعود إلى أواسط القرن العاشر.

ثالثا– دور ترجمة الكتاب المقدس بالأندلس في التأسيس لعلم مقارنة الأديان.

1. دراسات علماء المسلمين للكتاب المقدس بالأندلس.

لقد كان انتشار الإسلام وتباعد أطراف الدولة الإسلامية، واحتوائها لشعوب متعددة من ذوي الديانات المختلفة أثر عميق وواضح في تشجيع بعض مفكري الإسلام لمحاولة التعرف على تلك الأديان التي يعيش أصحابها بجوارهم أو بين ظهرانيهم، منطلقين من موقف الإسلام من الأديان الأخرى الذي كان أساسه القرآن الكريم، هذا الأخير الذي أمر بوجوب الإيمان بجميع الأنبياء والرسل والرسالات السماوية السابقة، كما أقرّ بوجود جماعات غير مسلمة، وضبط العلاقة معها، محددا الحقوق والواجبات تجاهها، وخاصّة ما عرف في ديار الإسلام بأهل الذمة، المتعايشين مع المسلمين في نفس المجتمع، وبهذا بدأت بذور نشأ علم مقارنة الأديان في الفكر الإسلامي.

فنجد نخبة من العلماء المسلمين الأفذاذ الذين برزوا في هذا العلم نذكر منهم النوبختي (ت302هـ)، والذي يعتبره المؤرخون أول من ألف في هذا العلم، بكتابه "الآراء والديانات"، وكذلك ألّف المسعودي (ت 346هـ) كتابين في الديانات، ثمّ نجد القاضي عبد الجبار (ت 415هـ) الذي خصص جزءا من موسوعته " المغني" في الحديث عن الفرق في الديانات الأخرى، ويعّد أبرز ما كتب عن الديانات في

التراث الإسلامي ابن حزم الأندلسي (ت 456هـ)، في كتابه " الفصل في الملل والأهواء والنحل"، و الشهرستاني (ت 548هـ) في كتابه " الملل والنحل" ، وبهذا كان المسلمون أول من وضع الكثير من القواعد المنهجية في دراسة الملل والنحل، وذلك قبل ظهور علم الأديان المقارنة بصورته الجديدة عند الغربيين في العصر الحديث.

من أنفس الكتب التي ظهرت في الأندلس في ظل الحضارة الإسلامية كتاب "الفصل" لابن حزم، والذي أهّل مؤلفه لاحتلال مركز الأولوية بين العلماء الذين عنوا بدراسة الأديان على سبيل النقد والمعارضة، وقد ترجمه إلى الاسبانية آسين بلاثيوس ونشره في سنتي 1927- 1928م، وهو كتاب ضخم حافل بما فيه من مادة وأفكار[34]،ومن شهادة علماء الغرب ومفكريهم، يقول بروكلمان عن كتاب الفصل: "إنه مؤلف ديني تاريخي عظيم وهو كتاب لم يسبق إلى مثله في الأدب العالمي"، كما يقول المستشرق جيب: "إن ابن حزم كرِّم في الغرب باعتباره مؤسسا لعلم مقارنة الأديان"[35].

وقام هذا المفكر الكبير بخوض المعركة الفكرية الدائرة على أرض الأندلس مع اليهود والنصارى، واستخدم معرفته للغة اللاتينية في التعمق في قراءة الانجيل والتوراة، وألف الكتب في الرد على النصارى واليهود، ومن أشهرها كتابه "الفصل في الملل والأهواء والنحل" و" الرّد على ابن النغريلة اليهودي" كما ألّف قصيدة طويلة يفنّد فيها دعاوى النصرانية[36]، فلم تكن دراساته سطحية بسيطة، بل كان عميقا ودقيقا، واستطاع أن يبرز مشكلات في نصوص التوراة لم يثرها قبله أحد من العلماء حتى ظهور مدرسة نقد التوراة العلمي في القرن السادس عشر والتي استقت من منهج ابن حزم الكثير من المناهج في دراسة ونقد الكتاب المقدس.

فلقد تميّز ابن حزم بعلمه الوافر، وقوته الفكرية النابغة، استطاع بها أن يدافع عن الإسلام وينقد المصادر اليهودية والمسيحية المقدسة، ولذلك نجده قرأ نصوص التوراة قراءة عميقة وقف فيها على نصوص التوراة التي توفرت لديه يعرف مقصد كل نص ومبتغاه، ويبدو أنّه كان لدى ابن حزم أكثر من نسخة من التوراة المترجمة، إذ نجده يقول "ورأيت في نسخة أخرى منها"[37]، ويستدل بنصوص مختلفة العبارات والترجمة فيما يستدل به فيما أورده قبل.

وقدم ابن حزم وصفا دقيقا لنسخة التوراة التي توفرت لديه والتي رجع إليها واستقى منها، إذ يقول في مؤلفه " الفصل": "هي مقدار مائة ورقة وعشرة أوراق في كل صفحة من ثلاثة وعشرين سطرا إلى نحو ذلك بخط هو إلى الانفساح أقرب، يكون في السطر بضع عشرة كلمة"[38]، كما أنّ مقابلة النصوص التي يوردها ابن حزم في كتابه الفصل بالترجمة الحديثة الموجودة بين أيدينا تظهر لنا خلافا بين الترجمتين وهو خلاف أقرب إلى الألفاظ منه إلى المعاني، ولعل هذا يرجع في المقام الأول إلى أنّ ابن حزم كان يورد نصوص التوراة بتصرف وتلخيص في كثير من الأحيان.

كما أنّ معرفة ابن حزم بلغة غير المسلمين يهودا ونصارى في المجتمع الأندلسي، واطلاعه المباشر على كتبهم ومصادرهم وممارساتهم، يقوي موقفه وينفي عنه سمة الجهل بما يوردونه من آراء

فدرس اللغة العبرية[39]، أو هناك من علّمه إياها كما ذكر هو بنفسه في قوله: "ولقد أخبرني بعض أهل البصر بالعبرانية"[40]، كما لا يستبعد معرفته بالسريانية واللاتينية، معرفة جعلته يتحدث عنها حديث المدرك العارف بها، وقد كان ابن حزم مولعا بتفحص الفروق في اللهجات الدارجة التي يسمعها حيثما حلّ وارتحل، وبهذا فقد توافرت لابن حزم في هذا السبيل أدوات البحث العلمية والمنهجية في عصره.

كما كان ابن حزم مطلعا على الأسفار الأخرى، غير الأسفار الخمسة، وعلى كل كتب وشروح اليهود، يسميها ويكتفي بالإشارة إليها، كما أنه مطلع على بعض كتب التلمود، ككتاب "توماو سادر ناشيم"، وقرأ أيضا "تاريخ يوسيفوس"، بالإضافة إلى هذا مجاراتهم ومجادلتهم لمعرفة حالهم[41]، وبهذا فقد توفر لعلماء الأندلس العديد من الأدوات المنهجية والمعرفية وخاصة الترجمات للكتاب المقدس من اللغات الأصلية، واحتكاكهم المباشر بأصحاب هذه الكتب المقدسة من يهود ونصارى، مكنهم من فتح مجال الرد والنقد ودراسة هذه الكتب المقدسة وبادرة إلى التأسيس لعلم مقارنة الأديان.

2. التأسيس لعلم مقارنة الأديان.

يعرّف (أ. رويستون بيك) E. Roystone Pike تاريخ الأديان بقوله: " أنّه دراسة علمية وموضوعية تتناول ديانات العالم الماضية والحاضرة، وهذه الدراسة تتوخى دراسة الديانات في ذاتها، واكتشاف ما يقوم بينها من نقاط تشابه واختلاف، واستخلاص مفهوم الدّين بوجه عام، عبر ذلك وإيضاح السمات المميزة للشهور الدّيني، وعلى هذا فإنّ " علم الأديان" مبحث وسط يقف بين التاريخ من جهة وبين علم النفس وعلم الاجتماع من جهة أخرى"[42]، وهو علم نجد بداية تشكل ملامحه الأولى مع ميلاد التفكير العقلاني الإغريقي، ويتوالى الفكر الإنساني واجتهاداته في النظر للظاهرة الدينية وتأملها، وبوصول الإسلام كانت مصادره الباب الأول لولوج والنظر في الأديان السابقة، وهي القرآن الكريم والسنّة النبوية، كما أشرنا من قبل للعلاقة التي بناها الإسلام مع أهل الديانات الأخرى خاصة اليهودية والمسيحية، ﭧﭐﱡﭐ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﱠ[43]، وبهذا أعطى الإسلام لليهود والنصارى وضعاً متميّزاً في التعامل والعلاقات، ومن هنا كان السبيل لمعاملة أهل الكتاب في المجتمعات الإسلامية التي أبيح فيها التعايش والمصاهرة والمعاملات المادية معهم، مما شجع على ميلاد جو من التفاعل الفكري والعلمي ومعرفة الطرف الآخر عن قرب، بديانته وعقيدته ومصادره الدينية، وفتح مجال الحوار والجدل والمناظرات، التي ولّدت الثمرة الأولى لعلم الأديان، وهذا بشهادة أكبر المستشرقين، مثل آدم ميتز، الذي قال: "... إنّ تسامح المسلمين في حياتهم مع اليهود والنصارى وهو التسامح الذي لم يسمح مثله في العصور الوسطى سببا في أنّ لحق بمباحث علم الكلام شيء لم يكن قط من مظاهر العصور الوسطى هو علم مقارنة الملل"[44]، كما يقرر فرانز روزنتال F.Rossental أن علم مقارنة الأديان أحد الإنجازات الرفيعة للحضارة الإسلامية، والتي أسهمت به في التقدم الفكري للإنسانية، وقد أشادت" أنسيك بريتانيكا" Encyc. Britannica بجهود المسلمين في حقل دراسة الأديان، وأبرزت نقطتين جديرتين بالإشارة

إليهما: تتمثل النقطة الأولى في تحقيق السَّبْق في مِضْمار دراسة الأديان، والثانية هي احتفاظ المسلمين بقيم الوحي والعقل معًا أثناء دراسة الأديان، وهو الأمر الذي لا تتسم به الدراسات الغربية للأديان.

إلّا أنّ هناك من يرجع ظهور الدراسات الجادة في مجال علم الدين المقارن، إلى كتابات "ماكس ميلر" الإنجليزي، وإلى العصور التنويرية التي تأسست فيها القطيعة أو على الأقل حالة تراجع في مكانة الدين الرسمي، وتفتت الوحدة المسيحية خلال القرن السادس عشر، وتحرر فيها الفرد من النظام الديني الوحيد السلطوي، إذ كان للفردانية الدينية الدور الحازم في الوقوف ضدّ أي تنظيم كنسي، مع الاهتمام بالعقل واعتباره المعيار الأول للحكم على النشاط الإنساني، واستطاع الفرد التحرر من السلطة اللاهوتية لكنسية تمارس الإكراه[45]، ولكن كلمة الانصاف ترجع للمفكرين المسلمين و اسهامهم الجاد والعلمي والمنهجي المؤسس الدقيق في مجال تاريخ الأديان، ومقارنة الأديان.

فهذا العلم بحسب مؤلفات المسلمين التي أسست له علم قديم، وفي هذا يقول الشهرستاني أحد أكبر البارزين هذا العلم: " أعلم أنّ العرب في الجاهلية كانت على ثلاثة أنواع من العلوم: أحدهما، علم الأنساب والتواريخ والأديان"، وكما ورد كذلك في رسائل إخوان الصفا: (وأعلم يا أخي أنّ العلم علمان: علم الأبدان وعلم الأديان)[46] ، وفي هذا إشارة واضحة إلى أهمية هذا العلم وقدمه عند المسلمين، وأهميته تكمن في أنّ جلّ علماء المسلمين قد خصصوا له مبحثا خاصا حتى ولو لم يكونوا مختصين فيه، ليظهر هذا العلم في القرون المتأخرة في الغرب، في القرن التاسع عشر الميلادي(19م)، وهو من ابتكار البيئة الإسلامية في القرون الأولى للحضارة الإسلامية ويعد هذا العلم آخر ما وصلت إليه العقلية المنهجية الإسلامية في دراسة الدّين، ويظهر جلياً أنّ الفكر الإسلامي هو السبّاق لهذا العلم ولكن بعد ضعف المسلمين واستسلامهم لأدبيات التخلف اتّجه الفكر الغربي إلى اعتماد هذا العلم وتدريسه ودراسته وتطويره بمختلف الآليات العلمية والمنهجية.

خاتمة:

في ختام هذا البحث الموسوم بـ: "حركة ترجمة النصوص المقدسة في ظل الحضارة الإسلامية بالأندلس واسهاماتها في تأسيس علم مقارنة الأديان" نخلص إلى مجموعة من النتائج نجملها فيما يلي:

– تعّد الأندلس إحدى أكبر الحواضر الإسلامية مضاهية بقية الحواضر الإسلامية كالإسكندرية ودمشق وبغداد والبصرة، بتراثها العلمي والفكري، وسبق تميّزها في تعايش الثقافات والأديان، والجسر الذي نقل الحضارة الإسلامية للغرب.

– الترجمة أحد أهم الركائز والوسائل الاتصالية بين الشعوب والأمم، لاختلاف ألسنتهم وثقافاتهم والأداة المنهجية والعملية الأولى في نقل تراث الحضارات السابقة، والاستفادة منها.

– كانت الأندلس بمدنها العلمية والثقافية وجهة لطلاب العلم وغيرهم من كل أنجاب أوربا، يستقون ويستفيدون من معارفها مما ساهم في إثراء حركة الترجمة للمؤلفات والكتب، الحاضنة لمختلف المعارف

بشتى اللغات كاليونانية والسريانية والفارسية واللاتينية، وكان من أبرز الكتب التي شملتها حركة الترجمة الكتب الدينية المقدسة.

– لقد أسهمت عديد العوامل في ازدها حركة الترجمة في حاضرة الأندلس، يأتي في مقدمتها وعي المسلمين المبكر بقيم التسامح الديني والنزوع المعرفي الذي بثه الإسلام، وانتشار رية الدينية والتعايش الثقافي والعلمي بين كل فئات المجتمع الأندلسي، مهما اختلفت انتماءاتهم الدينية والعرقية، وكان القرآن الكريم الباعث الأول والمصدر الأول للمسلمين لمعرفة باقي الديانات والاطلاع عليها ومنها الاطلاع على كتبهم المقدسة.

– كانت حركة الترجمة للكتب المقدسة وغيرها من المؤلفات لا يقتصر على نقل المعارف إلى اللغة العربية فحسب، بل من اللغة العربية إلى باقي اللغات اللاتينية كذلك وذلك لوعي النصارى أو اليهود بثراء المعارف الإسلامية، وامتد هذا إلى بلاط الحكام والأمراء في شتى أنحاء أوربا.

– كما رأى النصارى في الإسلام وافدا جديدا وخطرا على العقائد المسيحية ويستند إلى نص مقدس هو القرآن الكريم الناقد للمسيحية، فكان النصارى في وضع المدافع عن عقائدهم وديانتهم.

– تعرّض الكتاب المقدس لعديد الترجمات عبر التاريخ، قديما وحديثا، بداية من الترجمة اليونانية إلى اللغة اللاتينية وصولا إلى الترجمة العربية سواء الكاملة أو المجزئة.

– فتحت الترجمة المجال أمام قراءة وتحليل والتعرف على الكتب الدينية المقدسة وأصحابها مما أثرى الدراسات حولها، وبرز علم دراسة الأديان في مؤلفات المسلمين بمناهج متعددة.

– من أبرز علماء الأندلس الذين كانوا ضالعين في علم مقارنة الأديان واسسوا له منهجيا ومعرفيا، العلامة "ابن حرم الأندلسي" وظهر هذا في زاد علمي أثرى به ابن حزم المكتبات الإسلامية، التي امتازت بنظرتها المحللة والناقدة منهجيا وعلميا، وكانت ترجمة الكتب المقدسة سواء التوراة أو الإنجيل معينا مهما لابن حزم في دراسة الأديان، كما ساهم ابن حزم والكثير من علماء المسلمين في التأسيس لعلم مقارنة الأديان، ولقد وقدموا جهودا سباقة أمام الدراسات الغربية في علم مقارنة الأديان.

---

[1] – ابن منظور : لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، د. ط ، د.ت، الجزء 6، ص 426.

[2] – المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط2، 2001م، ص 60.

[3] – مجمع اللغة العربية: المعجم الكبير، مؤسسة روزاليوسف الجديدة، مصر، ط1، 1992م، جزء 3، ص 53– 54.

[4] – أمبارو أورتادو ألبير: الترجمة ونظرياتها مدخل إلى علم الترجمة، ترجمة: على إبراهيم المنوفى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2007م، ص 45.

[5] – سعيدة كيحل: تعليمية الترجمة دراسة تحليلية تطبيقية، عالم الكتب الحديث، الأردن، د.ط، د. ت، ص 21.

[6] – روجر. ت. بيل: الترجمة وعملياتها – النظرية والتطبيق–، ترجمة: محي الدين حميدي، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2001م، ص 42.

[7] – المرجع نفسه، ص 43

[8] – أمبارو أورتادو ألبير: الترجمة ونظرياتها مدخل إلى علم الترجمة، ص 35.

[9] – المرجع نفسه، ص 36.

[10] – المرجع نفسه، ص 37.

[11] – فيليب صايغ و جان عقل: أوضح الأساليب في الترجمة والتعريب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط5، 1993م، ص 7 – 8.

[12] – الطاهر أحمد مكي: دراسات أندلسية في الأندلس في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف، ط 3، 1987م، ص 9- 10

[13] – عادل سعيد بشتاوى: الأندلسيون المواركة، مطابع أنترناشيونال برس، القاهرة، مصر، د. ط، 1983م، ص 20.

[14] – عادل سعيد بشتاوى: الأندلسيون المواركة، ص 205- 206.

[15] – خليل إبراهيم السامرائي وعبد الواحد ذنون طه وناطق صالح مطلوب: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتب، ليبيا، ط1، 2000م، ص479.

[16] – فيليب صايغ و جان عقل: أوضح الأساليب في الترجمة والتعريب، ص4.

[17] – وليام مونتغمري واط: تأثير الإسلام في أوربا الوسطى ، ترجمة: سارة إبراهيم الذيب، جسور للترجمة والنشر ، بيروت، لبنان، ط1، 2016م، ص 66.

[18] – آنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1955م، ص 200.

[19] – ليفي بروفنسال: حضارة العرب في الأندلس، ترجمة: ذوقان قرقوط، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د. ط، د.ت، ص 103.

[20] – عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس – من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة–، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1981م.

[21] – آنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، ، القاهرة، د. ط، 1955م، ص 537- 538.

[22] – أحمد محمد الطوخي: مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1997م، ص 342.

[23] – لويس يونغ: العرب وأوروبا، ص96.

[24] – لويس يونغ: العرب وأوروبا، ص123.

[25] – حسن الوراثكلي: ياقوتة الأندلس – دراسات في التراث الأندلسي–، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994م، ص 11- 13.

[26] – محمد خليفة حسن: تاريخ الأديان – دراسة وصفية مقارنة–، دار الثقافة العربية، مصر، د. ط، 2002م، ص 23- 24.

[27] – حسن الوراثكلي: ياقوتة الأندلس – دراسات في التراث الأندلسي–، ص 13- 14.

[28] – المرجع نفسه، ص 16- 18.

[29] – حسن الوراثكلي: ياقوتة الأندلس – دراسات في التراث الأندلسي–، ص 19- 20.

[30] – حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية ومجمع الكنائس في الشرق الأدنى، القاهرة، مصر، د ط، د ت، ص 49- 50.

[31] – يوسف الكلام: تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس، دار صفحات، دمشق، سوريا، ط1، 2009م، ص 127.

[32] – محمد عباسة: ترجمة المعارف العربية وأثرها في الحضارة الغربية، مجلة الآداب، العدد 5–6، بيروت، لبنان، 1991م، ص 53.

[33] – حمّد الفاضل بن علي اللافي: مقدمة منهجية في تاريخ الأديان المقارنة، دار الحكمة، باريس، فرنسا، د. ط، د.ت، ص 101.ذ

[34] – آنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 221.

[35] – محمود علي حماية: ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، دار المعارف، بيروت، لبنان، ط1، 1983م، ص 243- 246.

[36] – رجب محمد عبد العليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية واسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة ،مصر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 447- 454.

[37] – ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر و عبد الرحمان عميرة، دار الجيل، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، جزء 1، ص 121.

[38] – ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، جزء 1، ص 187.

[39] – سعيد الأفغاني: نظرات في اللغة عند ابن حزم الأندلسي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط2، 1969م، ص 25.

[40] – ابن حزم: الرد على ابن النغريلة اليهودي ورسائل أخرى، تحقيق إحساس عباس، مكتبة دار العروبة، القاهرة، 1960، ص 14.

[41] – المرجع نفسه، ص 15.16.

[42] – جيب: علم الأديان وبنية الفكر الإسلامي، ترجمة: عادل العوّا، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 1989م، ص 5- 6.

[43] – سورة العنكبوت: الآية 46.

[44] – آدم ميتز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة، محمد الهادي أبوا ريدة، الدار التونسية للنشر، تونسن المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة 1986، جزء1، ص 342–343.

[45] – جيب: علم الأديان وبنية الفكر الإسلامي، ص 42.

[46] – محمد خليفة حسن أحمد: دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر، 1985، ص 127.

قائمة المراجع:

1. القرآن الكريم رواية حفص عن عاصم.
2. أحمد محمد الطوخي: مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1997م.
3. آدم ميتز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة، محمد الهادي أبوا ريدة، الدار التونسية للنشر، تونسن المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة 1986.

4. أمبارو أورتادو ألبير: الترجمة ونظرياتها مدخل إلى علم الترجمة، ترجمة: على إبراهيم المنوفى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2007م.
5. آنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1955م.
6. جيب: علم الأديان وبنية الفكر الإسلامي، ترجمة: عادل العوّا، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 1989م.
7. حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية ومجمع الكنائس في الشرق الأدنى، القاهرة، مصر، د ط، د ت.
8. ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر و عبد الرحمان عميرة، دار الجيل، بيروت، لبنان، د. ط، د.ت،
9. ابن حزم: الرد على ابن النغريلة اليهودي ورسائل أخرى، تحقيق إحساس عباس، مكتبة دار العروبة، القاهرة، 1960.
10. حسن الوراثكلي: ياقوتة الأندلس – دراسات في التراث الأندلسي–، دار الغرب الإّسلامي، بيروت، لبنان، 1994م.
11. حمّد الفاضل بن علي اللافي: مقدمة منهجية في تاريخ الأديان المقارنة، دار الحكمة، باريس، فرنسا، د. ط، د.ت.
12. خليل إبراهيم السامرائي وعبد الواحد ذنون طه وناطق صالح مطلوب: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتب، ليبيا، ط1، 2000م.
13. رجب محمد عبد العليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية واسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة ،مصر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د ط، د ت.
14. روجر. ت. بيل: الترجمة وعملياتها – النظرية والتطبيق–، ترجمة: محي الدين حميدي، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2001م.
15. سعيد الأفغاني: نظرات في اللغة عند ابن حزم الأندلسي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط2، 1969م.
16. سعيدة كيحل: تعليمية الترجمة دراسة تحليلية تطبيقية، عالم الكتب الحديث، الأردن، د. ط، د. ت.
17. الطاهر أحمد مكي: دراسات أندلسية في الأندلس في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف، ط 3، 1987م.
18. عادل سعيد بشتاوى: الأندلسيون المواركة، مطابع أنترناشيونال برس، القاهرة، مصر، د. ط، 1983م.
19. عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس – من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة–، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1981م،
20. فيليب صايغ و جان عقل: أوضح الأساليب في الترجمة والتعريب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط5، 1993م.
21. لويس يونغ: العرب وأوروبا.
22. ليفي بروفنسال: حضارة العرب في الأندلس، ترجمة: ذوقان قرقوط، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.
23. مجمع اللغة العربية: المعجم الكبير، مؤسسة روزاليوسف الجديدة، مصر، ط1، 1992م.
24. محمد خليفة حسن أحمد: دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر، 1985.
25. محمد خليفة حسن: تاريخ الأديان – دراسة وصفية مقارنة–، دار الثقافة العربية، مصر، د. ط، 2002م.
26. محمد عباسة: ترجمة المعارف العربية وأثرها في الحضارة الغربية، مجلة الآداب، العدد 5–6، بيروت، لبنان، 1991م.
27. محمود علي حماية: ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، دار المعارف، بيروت، لبنان، ط 1، 1983م.
28. المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط 2، 2001م.
29. ابن منظور: لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، د. ط ، د.ت.
30. وليام مونتغمري واط: تأثير الإسلام في أوربا الوسطى ، ترجمة: سارة إبراهيم الذيب، جسور للترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2016م.
31. يوسف الكلام: تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس، دار صفحات، دمشق، سوريا، ط1، 2009م.